قلب يتحدى الخوارزمية

تحت قناعه الجراحي، كانت أنفاس البروفيسور يوسف ثقيلة، محمّلة بوزن قرار يواجه حُكم الآلة الصارم. لم يكن التوتر نابعًا من إجهاد العملية، بل من صراع بين مصير الطفلة لينا وحكم (دي إكس)، نظام الذكاء الاصطناعي التشخيصي.

في صمت غرفة العمليات المقدس، كانت شاشات (دي إكس) تومض باللون الأحمر: "توقّف" لقد أعلنت الآلة، ببرود منطقها، أن العلة القلبية للينا لغز معقد "غير قابل للإصلاح"، وأوصت بالتخلّي عن المحاولة.

لكن يوسف، جراح القلب الخبير، رفض رفع يده مستسلمًا. يرى في حالة لينا تحديًا لجمود الآلة، ويشعر أن حدسه المتراكم على مدى عقود يفتح مسارًا ضيقًا للنجاة لم تحسبه الخوارزميات.

في غرفة التحكم، كان الدكتور عزام، مدير المستشفى، يتابع المشهد بقلق بالغ، ضاغطًا على الميكروفون: يا يوسف، أرجوك، لا تتجاوز قرار (دي إكس)! المؤسسة بَنَت سُمعَتها على هذه الثقة الآلية. لو فشلت العملية، فسيُعتبر هذا تمردًا على المنطق العلمي وسندفع الثمن غاليًا، وستُهدر جهود سنوات يا صديقي!

رد يوسف بصوت خفيض لكنه قوي، يجهز أدواته: الثقة بالآلة شيء، والثقة بالإنسان شيء آخر يا عزام. هذه الطفلة ليست مجرد بيانات. قلبي يُملي عليَّ أن هناك حلاً.

رفع عزام صوته محاولاً إيقافه: "إنك تتحدث بلغة العاطفة! لا يمكنك أن تكون مجرد أخصائي يعتمد على الخبرة الشخصية فقط. يجب أن تكون اختصاصي في مجالك، مُتقنًا لكافة مستجداته وداعماً للتقنية!

توقف يوسف للحظة، وقال بصوت واضح: صحيح ما تقول، أنا اختصاصي. والتصحيح اللغوي صادر عن المعجم الوجيز، وهو يؤكد على الاختصاص الدقيق. لكني أذكّرك بأن الاختصاصي هو من يجمع بين دقة العلم ومرونة الحدس. الآلة تحسب، لكنها لا تحسّ.

أعطى يوسف إشارة البدء، متجاهلاً التحذير الآلي الأحمر.

بدأت العملية وكأنها مبارزة دقيقة. كانت يدا يوسف تتنقلان بدقة غير طبيعية، يتبعان خطوطًا تشريحية لم يتم رسمها في محيط (دي إكس)، معتمداً على بصمته الإنسانية.

في مرحلة حاسمة لتحرير وعاء حيوي، أحس يوسف في طرف المشرط بمقاومة غريبة. هنا النبضة! لم يكن هذا نسيجًا عاديًا. أغمض يوسف عينيه جزئيًا وترك إصبعه يستشعر. اكتشف كتلة متخفية في جدار البطين،

دقيقة كحبة عدس، لم تُرصدها الآلة بسبب اختفائها التشريحي. هذا الورم كان كفيلاً بتمزيق جدار الوعاء لو أكمل يوسف وفق مسار الآلة، مهدداً بنزيف لا يمكن إيقافه.

همس يوسف لمساعده، بنبرة حادة: "غيّر الإبرة، نحتاج إلى زاوية ميلان جديدة. بسرعة. هذا الورم ليس في الخوارزمية."

في تلك اللحظة، تراجعت رهبة الآلة أمام رهبة الإتقان البشري. كان يوسف يقتحم الخطر المحدق، ويقود العملية بقلب يعرف معنى المسؤولية، بينما الآلة كانت تقف عاجزة.

بمهارة فائقة، تغلّب يوسف على العثرة، وأجرى تعديلاً جذريًا على خطته في لحظات معدودة، مستخدمًا أدواته بدقة كأنها ريشة فنان.

بعد صراع مرير مع المنطق الآلي، أعلن يوسف بصوته المنهك: "انتهى. القلب ينبض بشكل مستقر."

ساد الصمت لثوانٍ، ثم تعالت زفرات ارتياح خافتة من الفريق، أضاءت شاشة (دي إكس) بوميض خافت، ثم ظهرت جملة واحدة: "تم تعديل التوصية. نجاح العملية المنجز كان نتيجة للتكيف اللحظي غير المتوقع".

لقد أثبت يوسف أن الإنسان، بحدسه وخبرته، يظل القوة القادرة على اقتحام المجهول، بينما تبقى الآلة أداة تخدم ولا تقود.

خارج غرفة العمليات، كانت والدة لينا تنتظر على مقعد معدني، وقد يبست أطرافها من البرد والقلق. عندما أبصرت يوسف يخرج، نهضت، ويداها ترتفعان إلى صدرها رجاءً. تقدم نحوها وقال بصوت راسخ، خالٍ من أي توتر: "لقد تمت العملية بنجاح، لينا بخير."

انهارت الأم باكية، وامتزجت دموعها بعبارات الشكر. أما يوسف، فوقف للحظة ينظر إلى الممر الطويل الممتد، وكأنه يبصر فيه تحديات قادمة ستصطدم مرة أخرى بين فطنة الإنسان ومنطق الآلات.

كان يُدرك تمامًا أن المستقبل يحمل جولات مشابهة، لكن هذه الليلة رسخت يقيناً واحداً في نفسه: فمهما ارتقت الخوارزميات، فإنها لن تبلغ أبدًا مرتبة الحدس الذي يُنقذ ما فشل المنطق في حسابه.

القيمة: أهمية الإنسان وعاطفته وخبرته في مواجهة المو اقف الحرجة، حتى في عالم يهيمن عليه الذكاء الاصطناعي.

المفردة الشائعة وتصويبها: (أخصائي) تصويبها (اختصاصي)

عدد كلمات القصة: ٥٧٦ كلمة

اسم المجموعة: التميز

القائدة: تالا خالد العبيدي

الأعضاء: ديم الشمري - وريف التويجري - ريتال القحطاني - ميار فلمبان - لين منشي – أثير الرشيدي